وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانيّة
قسم اللغة العربية/ الدراسات العليا

تمثّلات البلاغة الجديدة في الدراسات العربية المعاصرة

أطروحة مقدّمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة ديالى، وهي جزءٌ من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها (تخصص الأدب)

من الطالب

غسّان عبد خلف

بِإشراف

أ. م. د. باسم محمّد إبراهيم

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣ م

الفصل الأوّل

البلاغة الجديدة في نقد الخِطاب السرديّ

توطِئة:

إنّ الخِطاب الحِجاجيّ له أهمّية خاصّة في تحليل الخطابات الإنسانيّة وتفكيكها من وجهة نظر المتلفّظ الحِجاجيّ، إذ يعمل الخِطاب الحِجاجيّ على فهم الرسالة الموجّهة نحو المتلقّي.

ولعلّ تعدّد الخِطاب الحِجاجيّ وتنوّعه، أصبحَ ركيزةً أساسيّة في الثقافة العربيّة والثقافات الأخرى، وتعود دراسة الخِطاب الحِجاجيّ إلى أزمنةٍ خَلتْ، ابتداءً من مؤلّفات (أرسطو) ـ ولا سيّما في الخطابة ـ، ثمّ ما توارثه العرب عن أصول الخِطابة ومميّزات الخطيب، انتهاءً إلى الإرث الفكري الضخم، الذي أحاط بكلّ ما أمكن أن يطرأ على النصّ، من خلال تطبيقات كبار المفكّرين، والفلاسفة، والفقهاء على مختلف الأنواع الأدبيّة.

وقد تعدّدت أوجه التخاطب الإنسانيّ بتنوّعها بين الخطابات الكتابيّة والشفهيّة، وكان الخطاب الحجاجيّ في هذه أو تلك حاضرًا، إذ يعدّ الخطاب الحجاجيّ ركيزة النصوص الموجّهة، المتضمّنة للمقصديّة، والنقاش، والنقد، والجدل، والتي منها النصوص القرآنيّة، والنصوص الأدبيّة، والنصوص الفلسفيّة، والنصوص الفقهيّة.

لقد ترعرع المفهوم التنظيريّ والتطبيقيّ للبلاغة الجديدة أولًا في الخطابة العربيّة؛ بوصفها خطابًا سرديًا يقومُ على الإقناع؛ إذ يُمثّل الإقناع الطاقة الحجاجيّة للنصّ الأدبيّ، سرديًا كان ام شعريًا، بل ((إنّ دراسة الخطاب الإقناعي دراسة شعريّة لا تعدم الشرعيّة بصفة مُطلقة، ولكنّها تقف عند عنصر واحد من عناصر التأثير والإقناع التي يلجأ إليها الخطيب))[١]، وتُهمل العنصر الحجاجيّ الذي يمثّل السلطة الأقوى داخل النصّ السردي، في حين يستند النصّ الشعريّ إلى سلطة التخييل القائم على الجمال.

---

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعي: ٦.

المبحث الأول

المقاربات الحجاجية للسرد العربي الرؤية والتوصيف

أولًا: المقاربات النوعيّة البلاغيّة للخطابات السرديّة:

مِمّا لا شكّ فيه أنّ البلاغة العربيّة ـ في أصولها الأولى بوصفها علمًا قابلًا للدرس والتحليل ـ قد نشأتْ في كَنَفِ الدراسات القرآنيّة؛ لتحقيق غاية الإعجاز والدِفاع عنه، ثمّ انتقلتْ لاحقًا إلى مجالِ الشعر العربيّ بوصفهِ شاهدًا على ذلك النصّ المُعجِز، وقد أصبحتْ القضيّة البلاغيّة في النصّ القرآنيّ دليلًا على الجانب الإعجازيّ، مع احتفاظها بالجانب الجماليّ أيضًا، في حين أنّ التحليل البلاغيّ للنصّ الشعريّ ظلّ ملمحًا جماليًا، يسيرُ على عُكّاز الأسلوب البلاغيّ، وهكذا فقد أصبح التحليل الأسلوبيّ للنصّ الشعريّ يُعنى بجماليّة البلاغة، وظلّ المحوران متلازمين، يحومانِ حول النوع الشعريّ، بوصفهِ النوع المُهيمن على الأدب العربيّ، والحقّ أنّ البلاغة العربيّة في باكورةِ التأليف في موضوعاتها لم تنحصر على القضايا الأسلوبيّة ـ كما أشرنا في التمهيد ـ إلّا أنّها خضعت لعوامل سياقيّة، قادتها نحو (مُسلسل الاختزال)، كما يُسمّيه د. محمد العُمريّ[١]؛ فهو يرى أنّ عملية الاختزال هذه كانت قد بدأت مع عبد القاهر الجرجانيّ، مُرورًا بالسكّاكيّ، حتّى بلغت نهايتها مع القزوينيّ، وباقي الشرّاح والملخّصين.[٢]

والظاهر أنّ مُلاحظات العُمريّ ـ في هذا الكتاب ـ لم تكن وليدة العام ٢٠١٧م، وهو العام الذي صدرت فيه الطبعة الأولى من الكتاب المُشار إليه، بل إنّ هذه الرؤى قد تمثّلت له منذُ أن نشرَ الطبعة الأولى من كتابه (في بلاغة الخِطاب الإقناعيّ ـ مدخل نظريّ وتطبيقيّ لدراسة الخطابة العربيّة ـ الخطابة في القرن الأول نموذجًا)*؛ إذ

---

(١) ينظر: المُحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة: ١٣-٢٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٧.

* صدر الكتاب بطبعته الأولى عن دار الثقافة في الدار البيضاء عام ١٩٨٦م.

يُعدّ هذا الكتاب ـ بحسب علمي ـ أوّل محاولة في مقاربة النصوص السرديّة العربيّة القديمة على وفق رؤية بلاغيّة جديدة، تتأمّل سدّ الفراغات التي بدت واضحةً في العصر الحديث لكثيرٍ من الباحثين العرب المعاصرين؛ إذ ظهر أنّ التراث البلاغي العربيّ القديم يُحيلُ على ((ركامٍ منفصلٍ الحلقاتِ غير إجرائيّ، تشعّ في أثنائه ملاحظاتٍ عبقريّة في الحديثِ عن (المقام) و(الشاهد) و(المثل) وفي دراسة أساليب النثر وصناعته))[١]؛ ثمّ ثبت أنّ الوجوه الأسلوبيّة كانت مفصولةً لحدّ ما عن ذهن المتلقّي، بمعنى آخر: إنّها كانت خالية من الوظائف والمؤثّرات التي تربط النصّ بالمتلقّي، ما عدا الوجوه الجماليّة الفنّية فيها، والتي ظهرت في أدوات البلاغة العربيّة القديمة.

نحنُ لا نُنكرُ فاعلية هذه الأساليب، وإنّما نجدها تمثّل جانبًا واحدًا من جوانب التأثير في المُخاطب، بوصفها محسّنًا جماليًا للنصّ، لا الخطاب ((ولعلّ أحد أهم إنجازات البلاغة الجديدة، هو إعلانها الحرب على مفهوم التحسين أو التزيين، الذي ارتبطت به وظيفة البلاغة؛ وهو ما يعني أنّها استوعبت هذا التحسين باعتباره عنصرًا تابعًا لوظيفةٍ أهم وهي الإقناع، فأصبحت صور التعبير جزءًا لا يتجزّأ من عملية الإقناع))[٢]، التي تقوم على أركانها البلاغة الجديدة.

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ مفهوم (البلاغة الجديدة) كان قد استمدّ مشروعه وأصوله عند العرب ممّا كتبه بيرلمان في الحِجاج، إلّا أنّ أساليب الحِجاج هذه تختلفُ أحيانًا وتتنوّع بحسب النوع الأدبيّ الذي تصفه، وقد وجد الباحثون العرب المعاصرون أنّ بلاغة النوع الأدبيّ ـ أحيانًا ـ تكمنُ في الكيان اللفظيّ لذلك النوع؛ فنحن ((لا نستغرب أن يربطَ القُدماء بلاغة النادرة باللغة كما ينطقها أصحابها، وأنّ أيّ تغيير لها عن صورتها اللفظيّة الأصليّة، بما في ذلك ما اشتملت عليه من لحن، هـــــو اعتداء

(١) في بلاغة الخِطاب الإقناعي: ٧.
(٢) محاضرات في البلاغة الجديدة: ١٤.

على بلاغتها التي تستمدّها من قانون هذا النوع من الخِطاب، الذي يتجسّد في الهزَل، وليس في الفصاحة المُطلقة))[١]، وهو خطاب بلاغي بشكل من الأشكال.

وهكذا فإنّ كلّ خطابٍ نوعيٍّ ترتكزُ بلاغته على جانب معيّن، لا على جماليّاته الأسلوبيّة، بل إنّ القضيّة الأسلوبيّة تظلّ واحدةً من الحُجج التي يستعملها النصّ للإقناع والتأثير في المُخاطب، وهذه هي الرؤية التجديديّة التي انطلقت منها البلاغة الجديدة في بعضٍ من فلسفاتها.

ثانيًا: الخِطابة العربية مُحاولة مبدئيّة لرصد الحِجاج في السرد:

لقد رصد د. محمد العمريّ عددًا من عناصر الخِطابة العربيّة، ومنها مراعاة مُقتضى الحال؛ إذ صنّفت البلاغة العربيّة المُخاطبين الذين تُلقى عليهم الخطبة إلى ثلاثةِ أصناف هم: (خالي الذهن)، وهو متلقّي الخِطابة الدينيّة، و(شاكٌّ مُتردّد)، وهو مُتلقّي الخِطابة الوعظيّة، و(جاحدٌ مُنكرٌ)، وهو متلقّي المُناظرات[٢]، وعلى هذا فمن الصعوبة بمكان قطع العلاقة بين الحِجاج والتلقّي، وهو ما ينأى بنا في التحليل البلاغيّ للخِطابة عن الوجوه الأسلوبيّة، التي تمثّل عنصرًا بارزًا وأساسًا في النوع الشعريّ.

نظرًا لهذه العلاقة الطرديّة بين الوجوه الأسلوبيّة وبين النثر العربيّ ـ ومنه الخِطابة ـ، فقد بدأ النقّاد العرب محاولات جادّة وعميقة لرصد البلاغة في بنيات النصوص النثريّة، بحثًا عن طرقٍ منهجيّة أطلِقَ عليها المُقاربة (Approach) وهي ((من المصطلحات الحديثة في النقد والتحليل، واستعمالها ـ الأجنبيّ والعربيّ ـ دقيقٌ جدًا، إذ تتضمّن اعتماد منهج لا يشكّ في صلاحه في حدّ ذاته، ولكن لا يجزم بخصب نتائجه سلفًا عند تطبيقه في ذلك الظرف المعيّن))[٣]؛ لذا فإنّ أغلب هذه

(١) محاضرات في البلاغة الجديدة: ١٤.
(٢) ينظر: في بلاغة الخِطاب الإقناعيّ: ٣٠-٣٦.
(٣) الأسلوب والأسلوبيّة: ١٨٣.

الدراسات لا يُسلّم بخصب نتائجها عند تطبيقها على كثيرٍ من النصوص الأدبيّة، وإنّما يرجع ذلك ـ صراحةً ـ إلى طبيعة النصّ الأدبيّ الذي بقي بعيدًا عن محاولات التجريب النقدي للمناهج المتقدّمة في نتائجها الملموسة والجازمة.

ويبدو أنّ المُتتبّع لطبيعة الدراسات التي انتهجت مضمارًا جديدًا في البلاغة، يُدرك أنّها لا تخلو من أنْ تُحاول وضع الأسئلة لتُجيب عليها على وفق رؤية حجاجية على الأغلب، والحقّ أنّ ذلك التساؤل يحاول ـ في الغالب ـ تصنيف البلاغة على وفق الشكل البلاغيّ الذي يرتكز على السؤال القائل: أينتسب هذا الشكل البلاغي الجديد لبلاغة أرسطو، أم هو من بلاغة بيرلمان، أو هو مزيج للبلاغتين في لحظة أخرى، تتطلّب تحديثًا آخرَ للخطاب البلاغيّ، لكي يقوم بمتطلّبات العصر، وعلى هذا فإنّ بلاغة الحِجاج ((محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة، في أفقِ تقديم البلاغة، باعتبارها منهجًا في تحليل النصوص الحجاجيّة، انطلاقًا من استراتيجيّتها الخطابيّة، التي عدّها أرسطو الوسائل الأساس لصناعة الحِجاج)).[١]

بدأت البلاغة الجديدة بوصفها مقاربات لتحليل النصوص الأدبيّة على وفق النظريّة الحجاجيّة المطوّرة عن أرسطو، فهي ((ليست مجرّد نظريّة تجريديّة همّها الأساس بناء فهم نسقيّ للتواصل بمفهومه الجماليّ أو الإقناعيّ؛ بل هي أيضًا نظريّة في تأويل الخطابات التي تُنجز في سياقاتٍ ملموسة))[٢]، لهذا فقد اهتمّ النقّاد بتوسيع مجالات البحث البلاغيّ حول الدلالة، من الأصل إلى الآفاق بمفهوم المقاربة.

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه المقاربات تقوم على أسس نظريّة أرسطو في الحِجاج، مع تقنيّات إجرائيّة تبلورت في آفاق البلاغة الجديدة، فضلًا عن غيرها من الاجتهادات البلاغيّة المعاصرة، مع اتّكائها أيضًا على أدوات ووسائل تنظيريّة مُستعارة من حقول مُجاورة للنقد البلاغيّ، ممّا يُساعدها في مواجهة النصوص، وتدقيق

(١) في بلاغة الحِجاج: ١١.
(٢) البلاغة وأنواع الخطاب: ٦.

التحليل[١]، فالمحاولات الأولى لفهم آليات الخِطاب الوعظيّ للخطابة العربيّة لم تخلُ من العناية بالمتلقّي، بوصفه عنصرًا فاعلًا ومؤثّرًا، بل أساسًا في كثير من الأحيان، لتحقيق النوع الأدبيّ، وصولًا إلى أعلى درجات الكمال والتأثير، وقد كان لويس شيخو يرى أنّ الموعظة يجب أن تقوم على ((براهين دامغة، وعواطف مؤثّرة))[٢]؛ فهو يُزاوج بين البُرهان والعاطفة، ويدعو إلى الابتعاد عن التنميق والزخرف، وذلك ((لئلّا ينشغل السامع بقشرة التراكيب المنمّقة، والزخرف الباطل، ويذهل عن لُبّ التعليم، والقوتِ المغذّي للنُفوس))[٣]؛ فعلى الرغم من عناية لويس شيخو بإثارة العواطف والانفعالات في الخطابة، إلّا إنّه يقع في إشكاليّة توظيفه مصطلح (البراهين الدامغة)، فهو ((لا يتّفق مع طبيعة الحِجاج البلاغيّ غير اليقينيّ، الذي تقومُ عليه الموعِظة؛ فما يسوقه الواعظ من حُجج عقليّة لإثبات صحّة المعتقدات الدينيّة في جداله للملحدين، ومُنكري الوحي [...] هي ليست براهين يقينيّة، بل حجج احتماليّة، شبيهة بالحقيقة))[٤]، وبهذه التحليلات العمليّة والمنطقيّة للخِطابة العربيّة، نجد أنّ النقد العربيّ الحديث ـ ومنذ باكورةِ نشأته ـ ظلّ مُحاولًا في تطوير الجانب النقدي للخطابة، ومن ثمّ تمّ ربطهُ ببلاغات حداثيّة، وإنْ كانت تقومُ على أصولٍ غيرِ تجريبيّة، إلّا أنّها تظلّ تصبّ في إطار البلاغة الكونيّة بكلّ أشكالها، وهي تعود ـ في أغلب توجّهاتها ـ نحو بلاغة أرسطو، فها هي رؤية لويس شيخو، يُحلّلها د. محمّد مشبال على أنّها ((ربط ضمني واضح ومعروف في البلاغة بين الأسلوب والإيتوس))[٥]، وهو الباعث للحدّ الذي يرتكز في بنيته البلاغيّة الحِجاجيّة على عنصر المتلقّي، وعلى الرغم من ظهور صعوبات كثيرة في التحليل الحِجاجيّ للخطابة العربيّة، فإنّ د. محمد العُمريّ يجد أنّ

(١) ينظر: في بلاغة الحِجاج: ١٢.
(٢) علم الخِطابة: ٢١١.
(٣) المصدر نفسه: ٢١٩.
(٤) عن بدايات الخطاب البلاغيّ العربيّ الحديث: ١٨٥.
(٥) المصدر نفسه: ١١٦.

اللجوء إلى المتلقّي مع الرسالة الموجّهة إليه هو الضابط الأوّل في إظهار عنصر البلاغة في الخُطبة.[١]

وهذا كلّه يرتكز في نوع واحد من الخِطابة ألا وهي الخِطابة الدينيّة التي وقف عند مفهومها د. محمد العُمريّ، إلّا أنّه يتعثّر في بحثه عن العناصر الحجاجيّة في الخُطب السياسيّة القائمة على الحِجاج لأنّها قليلة في الخِطابة العربيّة، ((وذلك أنّ العلاقة بين الأنداد أنفسهم كانت ميّالة إلى حسم الأمور بطُرق أخرى غير طرق الإقناع))[٢]، وأمّا الخطابة الاجتماعية، فيشير العُمريّ إلى العناصر البلاغيّة في جانبها الحِجاجيّ عن طريق المغالطات أحيانًا، وكذلك الشاهد القائم في الحُجج الجاهزة غير الصناعيّة كالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة والشعر والحِكم والأمثال.[٣]

ولعلّنا لا نُجافيّ الحقيقة عندما نربط تصنيف العمريّ لهذه الحجج وفقًا لتأثيره بالحجج التي أقامها أرسطو في الخطابة القضائيّة، وهي القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحُكماء، وهي عند العمريّ ((تكتسب قوّتها من مصدرها ، ومن مصادقة الناس عليها وتواترها، وتدخّل الخطيب ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصودة للاستدلال عليه))[٤]، ثمّ نراه يركّز على القياس الخطابيّ المضمر، وهي الموازنة بين متناقضين، وكذلك التقسيم والتضاد إلى غير ذلك من أنواع البراهين[٥]، ثمّ إنّنا نكاد نجد أنّ الأسلوب لا يُمكن استمالته خارج أيّ نوع أدبيّ عربيّ، وهو مرتبطٌ بالخطابة الأرسطيّة أيضًا؛ فمثلما يمثّل الأسلوب جزءًا مهمّا من بلاغة الخطاب عند اليونان؛ فهو يمثّل الصدارة في البلاغة العربيّة، ومن مظاهر الأسلوب في الخِطابة ـ كما يصوّرها العمريّ ـ هي حذف أدوات الوصل في الخطابة، وهو ما يُشعر بكثرة المعاني

(١) ينظر: في بلاغة الخِطاب الإقناعيّ: ٣٦.
(٢) المصدر نفسه: ٥٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥.
(٤) المكان نفسه.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧٦-٨٠.

فيها، وكذا الترديد[١]، فتُعدّ هذه من السمات البلاغيّة للخطابة.

يفرّق د. محمد العمريّ أيضًا بين أسلوب الخِطابة في المحافل الشعبيّة، والخِطابة في ساحة القضاء؛ ففي الأولى يجب على الخطيب الاستغناء عن دقّة التفاصيل، وأمّا في الثانية فيقتضي التدقيق[٢]، وتُعدّ هذه سمة أخرى تختصّ بنوع الخطاب.

لم يكن من السهل إغفال الجانب الدلاليّ، وكذلك الإيقاع من صميم الخِطابة العربيّة، ومن ثمّ توجيهها نحو الأغراض الحِجاجيّة؛ فالدلالة المتولّدة عن الكذب الفنّي في الأمثلة الواردة إلينا من الخِطابة العربيّة، يُشير إلى كلّ ما زاد عن متطلّبات التوصيل، دون أن يُوقِع المتلقّي في الغموض والبُعد عن التأثير والإقناع[٣]، ويعود ذلك إلى الصورتين البيانيّة والبديعيّة؛ وأرسطو كان ((قد اعتبر الاستعارة ـ بمعناها الواسع ـ عُنصرَ إغرابٍ يُحدِثُ الهيبة والعَجَب، وما يُحدِثُ العجبَ يُحدثُ اللّذّة، وهي وسائل مستعملة في النثر بحدود، في حين تكون أبعد غرابة في الشعر)).[٤]

إنّ ما خلصَ إليه العُمريّ من دراسته للخِطابة العربيّة ـ في جانبها الدلالي (الصوريّ) ـ هو ((أنّ الصورة تقوم مقام الحُجّة، وتعوّضها تبعًا لحال المُخاطب، والتصوير في الخُطب الوصفيّة السياسيّة، ذات الطابع الحماسيّ، أوفر وأبدع منه في الخِطابة التعليميّة، والمُناظرات التي تعتمد ـ في الغالب ـ على توصيل الفكرة في عبارة شفّافة مدعومة بالحجّة في المناظرات، وبالمثال في الخِطابة التعليمية [...]، ويعوّض التصوير في الخطب الوعظيّة، بالمقابلات المعنوية بين عالمٍ زائلٍ وعالمٍ باقٍ، بين الأوائلِ والأواخر، بين الاستقامة والجور، بين الطاعة والعصيان، والظلم والإنصاف))[٥]، وهذه كلّها من السمات البلاغيّة للخطابة.

---

(١) في بلاغة الخِطاب الإقناعيّ: ٨٨-٨٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٩٢.

(٤) يُنظر: الخِطابة: ١٨٦، وفي بلاغة الخِطاب الإقناعي: ٩٣.

(٥) في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ١٠١-١٠٢.

بقي أن نُشير إلى إيقاع النصّ الخِطابيّ، الذي أكّد العُمريّ فاعليّته البلاغيّة في الخِطابة العربيّة، بوصفه وسيلةً إقناعية حاضرةً في الثقافتين الغربيّة والعربيّة، وعلى اعتبار أنّ البلاغة الجديدة هي امتداد لقوانين أرسطو الخطابيّة، وأنّ الثقافة النقديّة البلاغيّة العربيّة تستمدّ قوّتها من كينونتها؛ فإنّ العمريّ كان قد أشار إلى المنزلة الصوتيّة في الخطابة عند أرسطو أوّلًا، وهي منزلة وسط بين النظم والنثر؛ لذلك فهو يرى ـ بحسب تحليله لأرسطو ـ أنّ ((النثر الخِطابيّ ينبغي ـ إذن ـ أن يكون إيقاعًا غير مطّرد الوزن))[١]، ويُحاول أن يُزواج بين رؤية أرسطو للإيقاع النثريّ، وأهمّيته في الخِطاب الإقناعيّ الغربيّ، وبين الحُضور الصوتيّ في البلاغة العربيّة في الثقافة النقديّة تاريخيًا؛ ((فالسجع في البلاغة العربيّة من أهم الظواهر الأسلوبيّة في النثر، وهو يعطي الكلام مكانة أكبر إلى الرجز والقصيد، وإنْ كان دونهما))[٢]، وعلى الرغم من الرفض الشاسع لفكرة السجع في الثقافة النقديّة العربيّة، وهي فكرة تقوم على بعدها الدينيّ، إلّا أنّ كثيرًا من النقّاد العرب قد أشاروا لأهمّيته، ومنهم العسكريّ، إذ أكّد عدم خلوّ كلام البُلغاء من الازدواج والتوازن والترصيع، وهي مصطلحات صوتيّة فائقة الأهمية في البلاغة العربيّة.[٣]

أشار د. محمد العمريّ إلى تقسيماتِ العربِ لأنواعِ الخُطب اعتمادًا على الحالة الصوتيّة، وهو يُريد بذلك أن يؤكّد الحضور الصوتي في الخطاب الإقناعي العربيّ بوصفهِ عنصرًا فاعلًا في البلاغة، وهو أصل من أصول تطوّر فكرة البلاغة الجديدة، وتنقسم الخطب عند العرب على ثلاثةِ أقسامٍ هي: الخُطب المسجوعة، وخُطب قائمة على الوسطيّة بين السجع والازدواج، أطلق عليها العُمريّ (متوسّطة الصناعة، ونوع آخر سُمّيَ بالخُطب المُرسلة (قليلة الصناعة)، لم يُهمل أصحابها الإيقاع إهمالًا

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ١٠٤.
(٢) المكان نفسه.
(٣) كتاب الصناعتين: ١٦٠.

مُطلقًا، في إشارة لأهميّة إعماله في الجمل والفواصل القصيرة.[١]

لقد عنيت البلاغة الغربيّة القديمة ـ شيئًا ما ـ بقضيّة ترتيب أجزاء القول، والظاهر أنّ العناية الكبرى بذلك كانت في أوجها في عصر النهضة، و((يرى بيرلمان أن الترتيب في قضايا البرهنة الشكليّة غير ذي أهمّية، وعكس ذلك حينما يكون الغرض الاحتجاج قصد مشاركة المُستمعين، فإنّ ترتيب عرض الحجج يكيّف شروط القبول عند هؤلاء)).[٢]

يبدو أنّ الجانب التقسيميّ للأقوال الأدبيّة الغربيّة، قد مرّ بمراحل مهمّة عند نقّادهم، ممّا غدا به بنية متطوّرة في خطاباتهم الحديثة؛ إذ يدخل النظام الإقناعيّ ـ في هذه البنية ـ في صميم العمل البلاغيّ، بينما لم يجد العمريّ في محاولاته البحثيّة أصولًا نقديّة بنائيّة لهذا المنحى البلاغيّ عند العرب، إذ يقول: ((ولم أجد فيما اطّلعت عليه من البلاغة العربيّة تقنينًا للنظام الذي ينبغي للخطيب أنْ يتّبعه في ترتيب أجزاء خطبته، عدا الإلحاح على الاستهلال الدينيّ))[٣]، مع ما جاء من تأكيد المضامين التي تُشير إليها تلك الخُطب الدينيّة في مقدّمته، ولعلّ هذين الملمحين هُما اللذان عدّهُما العُمريّ مُعادلًا موضوعيًا للجانب التقسيميّ للحِجاج البلاغيّ الغربيّ، من ناحية ترتيب أجزاء القول، هذا إضافة لجانبٍ آخرٍ مهمٍّ في الخطابة العربيّة، وهو الإشارة إلى الموضوع في مقدّمة الخُطبة، وهو ملمحٌ بيّن في خُطب الكُتب ومقدّماتها، ولم يظهر عند العرب الأوائل؛ حرصًا على نظامٍ معيّن للمقدّمة والعرض والخاتمة في الخطبة؛ لذا فلم نجد له تنظيرًا لدى النقّاد، وهو لا ينفي تركيز الخطباء على عرض قضاياهم بأسلوب قائم على الإقناع والتأثير؛ لإيصال المعنى بأحسنِ صورة.[٤]

---

(١) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ١١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧–١٢٨، وينظر: بيرلمان في: Empire rhetorique: 163

(٣) في بلاغة الخِطاب الإقناعيّ: ١٣١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٣١–١٣٢.

لم تكن الرؤية النقديّة العربيّة ـ التي تخصّ الجانب التنظيميّ ـ فكرة العمريّ وحده، فقد أشار إليها د. إحسان النصّ، واستشهد بها العُمريّ؛ إذ يرى الأوّل عناية مقتضية بتنظيم أجزاء القول في الخطبة قصدًا للإقناع، غير أنّ عناية الخُطباء الأمويين لم تكن كبيرة إزاء التقسيم الخطابيّ ((والسبب الأوّل لذلك ـ فيما يبدو لنا ـ هو أنّ التفكير المنطقيّ بمفهومه الدقيق، كان متأخّرًا في وجوده على العصر الأمويّ، وهو العصر الذهبيّ للخطابة العربيّة))[١]، وإنّما جاء ذلك التقسيم على الرؤية البلاغية العربية.

هذه الرؤية التي كوّنها د. إحسان النصّ عن الخِطابة العربية في مراحلها الأولى (العصر الأمويّ) لم تنطلق من أساس بلاغيّ، بل إنّ دراسة إحسان النصّ للخطابة العربيّة لم تكن بالمقارنة مع الفكر الغربي في جزئياته التنظيميّة مع السياق التاريخي للبلاغة العربيّة، إضافة إلى أنّه لم يميّز بين أنواع الخطابة ونسبة حضور المكوّن البلاغيّ فيها، وقد تنبّه العمريّ لذلك عندما أشار إلى توزاي التفكير النقدي حول الخطابة الاحتفاليّة بين الغربيين والعرب، بالاستناد إلى الرؤية الأرسطيّة التي لم تخصّ ((الخطابة الاحتفاليّة بكثير من التقنيّات التنظيميّة التي عرفت في الخطابة القضائيّة والاستشاريّة، وأغلب الخطابة الأمويّة احتفاليّة))[٢]، وذلك ممّا يعني أنّ زيادة التقنيّات التنظيميّة أو نقصها في الخطابة يعتمد نسبيًا على خصوصيّة النوع الأدبيّ.

(١) الخطابة العربيّة في عصرها الذهبيّ: إحسان النصّ: ٢٥١.
(٢) في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ١٣٢.

Abstract

This study aims to try to answer the question of how (The New Rhetoric representations in Contemporary Arab Studies), as the tracking of the theoretical and applied mechanisms on which the term (The New Rhetoric) will develop the curricula that seeks for the renewal of Arabic rhetoric. On this basis the researchers have divided this study into three chapters preceded by a preface and followed by a conclusion. In the introduction, the researchers studied the rooting of the term, starting with Western criticism, passing through Arab criticism and its translations and synonyms among Arabs, and then the development of the term and its critical beginnings in contemporary Arab studies. As for the first chapter, it studied the new rhetoric in the critique of contemporary Arab narrative speeches. Starting with the eloquence of Arabic rhetoric, passing through the eloquence of Al-Hajjaj and anecdotes, ending with the Arabic novel and biographies and the renewal of rhetoric in them. The second chapter studied the new rhetoric in the criticism of public speeches. Beginning with the eloquence of the public in establishing and founding fields of knowledge such as cursing and applause, and ending with metaphor a political speech with tools such as interlacing between the religious and political, and then ending it with the eloquence of historical speeches as one of the most important tools of the public in defending itself and its entity. The third chapter has studied the new rhetoric in the criticism of contemporary Arab poetic speeches, starting with the functions of style and passing through persuasive maqamat and Al-Hajjaj speeches with poetic tool, and then literary of Al-Hajjaj and ending with audio balances that emerged from the theories of the ancients to form a new rhetorical pattern, but it is based on the semantic development of contemporary Arab rhythmic theories, which have become an essential element of the renewal of Arabic rhetoric, and finally the chapters are followed by conclusions and a number of results of the study.